

سورة التوبة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ)

يونس: 10

معاني الكلمات

دَعَاؤُهُمْ في الجنة التسييح (سبحانك اللهم)، وتحية الله وملائكته لهم، وتحية بعضهم بعضاً في الجنة (سلام)، وآخر دعائهم قولهم: "الحمد لله رب العالمين" أي: الشكر والثناء لله خالق المخلوقات ومرتبها بنعمه.

المعنى الإجمالي :

((دَعْوَاهُمْ فِيهَا)) أي: دَعَاؤُهُمْ ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ)). ومعنى قوله: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ)) أي: اللهم إنا نسبحك، كقول القانت: اللهم إياك نعبد، يقال: دعا يدعو دعاءً ودعوى، كما يقال: شكا يشكو شكايَةً وشكوى، فإذا دَعَاؤُهُمْ هنا تساوي الدعاء، ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة، ونظيره قوله تعالى: {وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [مريم: 48] أي: وما تعبدون من دُونِ اللَّهِ.

((وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)) أي: تحيتهم التي يحيي بها بعضهم بعضاً هي أنهم يسلم بعضهم على بعض.

أو أنها تحية الملائكة إياهم بالسلام، كما في قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ} [الرعد: 23 - 24].

أو هي تحية الله عز وجل لهم، كما في قوله تعالى: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ} [يس: 58] والتحية التكرمة بالحالة الجليلة، أصلها أحياك الله حياةً طيبة، والسلام: بمعنى السلامة من كل مكروه.

((وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ)) أي: وخاتمة دعائهم هو التحميد بقولهم: ((أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) يعني: أن أول دعائهم (سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) وآخر دعائهم ((أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) فهم يختمون دعاءهم بحمد الله سبحانه وتعالى.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك: (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

دعواهم: أي دَعَاؤُهُمْ. وهل الآخرة دار تكليف؛ حتى يواصلوا عبادة الله؟ لا، ولكنها عبادة الالتذاذ، وهم كلما رأوا شيئاً يقولون: لقد أكلنا ذلك من قبل، ولكنهم يعرفون حين يأكلون ثمار الجنة أن ما في الأرض كان يشبه تلك الثمار، لكنه ليس مثلها. (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأثأوا به متشابهاً...) (سورة البقرة: الآية 25). أو يقولون: (سبحانك اللهم) اعترافاً بالنعمة، وأنت حين ترى شيئاً يعجبك تقول: سبحانك يارب. وبعد أن تأتي لك النعمة وتقول: سبحان الله، وتفاجأ بأشياء لم تكن في الحسبان من فرط جمالها؛ فتقول: الحمد لله.

وقوله : (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو الخمود أبداً ، المعبود على طول المدى ؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره ، وفي ابتداء كتابه ، وعند ابتداء تنزيله ، حيث يقول تعالى (: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب [الكهف : 1] ،) الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض [الأنعام : 1] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها ، وأنه الخمود في الأول و [في] الآخر ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، في جميع الأحوال ؛ ولهذا جاء في الحديث " : إن أهل الجنة يلهمون التسييح والتحميد كما يلهمون النفس " وإنما

يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم ، فتكرر وتعاد وتزاد ، فليس لها انقضاء ولا أمد ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وقال تعالى (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) " أَي لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلَامًا لَاغِيًا أَي عَيْثًا خَالِيًا عَنِ الْمَعْنَى أَوْ مُشْتَمَلًا عَلَى مَعْنَى خَفِيرٍ أَوْ ضَعِيفٍ كَمَا قَالَ " لَا نَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً " أَي كَلِمَةً لَاغِيَةً " وَلَا تَأْثِيمًا " أَي وَلَا كَلَامًا فِيهِ قُبْحٌ " إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا " أَي إِلَّا التَّسْلِيمَ مِنْهُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى " تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ " وَكَلَامُهُمْ أَيْضًا سَلَامٌ مِنَ اللَّغْوِ وَالْإِثْمِ

أيها القاريء الكريم: إن جعلت في هذه الدار أو افتقرت أو حزنّت أو مرضت أو بخست حقاً أو ذقت ظلماً فذكر نفسك بالنعيم المقيم في جنات رب العالمين، إنك إن اعتقدت هذه العقيدة وعملت لهذا المصير تحولت خسارتك إلى أرباح، وبلاياك إلى عطايا، إن أعقل الناس هم الذين يعملون للآخرة لأنها خير وأبقى وإن أحمقهم الذين يرون أن هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ومنتهى أمانهم، فتجدهم أجزع الناس عند المصائب، وأندمهم عند الحوادث، لأنهم لا يرون إلا حياتهم الزهيدة الحاضرة، لا ينظرون إلا إلى هذه الفانية لا يتفكرون في غيرها ولا يعملون لسواها، فلا يريدون أن يعكّر لهم سرورهم ولا يكدر عليهم فرحهم، ولو أنهم خلعوا حجاب الران عن قلوبهم وغطاء الجهل عن عيونهم لحدثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها دورها وقصورها ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها، إنها والله الدار التي تستحق الاهتمام والكد والجهد وهل تأملنا طويلاً في أهل الجنة بأنهم لا يمرضون ولا يحزنون ولا يموتون ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، في غرف يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيما لا ما عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وَأَخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (1)



فوائدها من السورة

بونس (10)

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

يُقَال : اللَّهُ مَعَكَ، وَاللَّهُ يَصْحَبُكَ. وَقِيلَ : السَّلَامُ بِمَعْنَى
السَّلَامَةِ، أَيْ السَّلَامَةُ مُلَازِمَةٌ لَكَ. (مسلم بشرح
النووي ج7 ص395)

9- السَّلَامُ من أسماء الله الحسنى .

10- السلام من حقوق المسلم على أخيه.

11- الحمد لله خير الكلام وأحبه إلى الله: فعند مسلم:

«إن أحب الكلام إلى الله سبحانه الله ومحمده.»

12- الحمد ثناء، ويكون الثناء على أكمل وجه إذا

اقتزن بالتزنيه، والتسبيح تنزيهه لله، فمعنى قولك:

سبحان الله: تنزه الله وتقديسه على كل نقص.

13- الحمد مطلوب من العبد في كل الأوقات، وذلك

لكثرة نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى، والتي من

أهمها نعمة الإيمان .

14- من أعظم نعم الله علينا أن علمنا قول " الحمد

الله .

15- إثبات الحمد الكامل لله عزّ وجلّ، وذلك من

"أل" في قوله تعالى { الحمد }؛ لأنها دالة على

الاستغراق ..

16- ن الله تعالى مستحق مختص بالحمد الكامل من

جميع الوجوه؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم

إذا أصابه ما يسره قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم

الصالحات" ؛ وإذا أصابه خلاف ذلك قال: "الحمد لله

على كل حال

17- تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية؛

وهذا إما لأن "الله" هو الاسم العلم الخاص به، والذي

تتبعه جميع الأسماء؛ وإما لأن الذين جاءهم الرسل

ينكرون الألوهية فقط ..

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله

وصحبه وسلم

الفوائد :

1- دعواهم هنا بمعنى: دعائهم.

2- الآية تدل على سمو هذا الذكر؛ لأنه دعاء أهل الجنة، ولأنه

ذكر الملائكة كما قالوا: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}

[البقرة:30].

3- أن دعاء أهل الجنة وعبادتهم هو قولهم: سبحانك اللهم

ومحمدك..

4- التكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل

اللذات، الذي هو ألدّ عليهم من المأكّل اللذيذة، ألا وهو ذكر

الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة

النَّفْسِ، من دون كلفة ومشقة.

5- التسبيح والحمد والتهليل قد يسمى دعاء؛ روى مسلم

والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله

رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض

ورب العرش الكريم". قال الطبري: كان السلف يدعون بهذا

الدعاء ويسمونه دعاء الكرب.

6- يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة:

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين؛ وحسن أن يقرأ آخر

"والصافات" فإنها جمعت تنزيه الباري تعالى عما نسب إليه،

والتسليم على المرسلين، والختم بالحمد لله رب العالمين.

7- فأنت تستقبل النعمة «سبحان الله»، وتنتهي من النعمة

«بالحمد لله». ولذلك يقول الحق سبحانه: (وآخر دعواهم أن

الحمد لله رب العالمين)....

8- قال الإمام النووي: أمّا معنَى السَّلَامِ فَقِيلَ : هُوَ إِسْمُ اللَّهِ

تَعَالَى، فَقَوْلُهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيْ إِسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكَ، وَمَعْنَاهُ إِسْمُ

اللَّهِ عَلَيْكَ أَيْ أَنْتَ فِي حِفْظِهِ كَمَا.....